دور زيارة الأربعين
في مواجهة الطائفية والعرقية الفكرية
من خلال ترسيخ مبدأ التعايش السلمي

أ.م.د. موفق كامل خلف المحمدي
عائشة زيدان خلف
كلية الآداب-جامعة الانبار
mwafaqma@gmail.com

الملخص

كثيراً ما لعبت الطائفية والعرقية دوراً كبيراً في تدمير كثير من الشعوب والحضارات، وبتعاقب الزمان وتوسع بلدان العالم، ومنها البلدان الإسلامية، دخلت الى الإسلام مجموعات من أعراق مختلفة، على اختلاف دياناتهم السابقة سواء كانت سماوية أم وثنية، وعلى اختلاف أعراقهم سواء كانوا من السند أو الهند أو من بلاد فارس أو غيرها، وفي الوقت الحاضر ومع انتشار الإسلام يقدر عدد المسلمين اليوم أكثر من ٢ مليار نسمة (يشكلون ٢٥٪ من سكان العالم)، ولان المسلم قوة عظيمة وتركيبة يصعب هزمها؛ فقد حاول أعداء الإسلام إثارة الطائفية العرقية بين المسلمين؛ من أجل استهداف وتدمير شباب المسلمين تحديداً من خلال الانحراف الفكري، وبالتالي تصدى المسلمون لهذه الحرب الفكرية المدمرة، فكان خط أهل البيت عليهم السلام ممثلاً في زيارة الأربعين أحد أهم سبل المواجهة لهذا الانحراف، فالكل في زيارة الأربعين، وحتى في الموكب الواحد، متوحدون في خط واحد سائرون نحو رمز الصمود والتضحية أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلا نعرات طائفية ولا أحقاد؛ وإنّما متوحدون على اختلاف لغاتهم وألوانهم وجنسياتهم وعلى نسق واحد من الشعارات يحيون شعائر الأربعينية سيراً على طريق ونهج إمامهم الحسين عليه السلام.

تم تقسيم الدراسة الى مباحث رئيسية ومواضيع فرعية، المبحث الأول: الطائفية والعرقية لغةً واصطلاحاً وتأريخاً، والمبحث الثاني زيارة الأربعين وأثرها في محاربة التفرقة وتوحيد صف المسلمين، والمبحث الثالث: علاج الطائفية والحث على التعايش السلمي بنص الكتاب والسنة المطهرة، وفي النهاية تأتي النتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الطائفية، التطرف الفكري، التعايش السلمي.

The Role of the Arbaeen Visit in Confronting Sectarianism and Ethnic Intellectualism by Enhancing Peaceful Coexistence

Asst.Prof.Dr. Muwafaq Kamil Khalaf Al-Muhammadi
University of Anbar- College of Arts
Aisha Zaidan Khalaf

Abstract

Sectarianism and ethnic conflicts have often played a significant role in the destruction of many nations and civilizations. Over time، as the world expanded and countries grew، including the Islamic nations، diverse ethnic groups entered Islam، with varying previous religious backgrounds، whether monotheistic or pagan، and from different regions such as Sind، India، Persia، and others. Today، with the spread of Islam، the Muslim population is estimated to exceed 2 billion، constituting 25% of the world's population. Given the strength and unity of Muslims، which is difficult to overcome، the enemies of Islam have sought to incite ethnic sectarianism among Muslims to target and destroy particularly the youth through ideological deviation. In response، Muslims have resisted this destructive intellectual war، with the path of the Ahl al-Bayt (A) embodied in the Arbaeen pilgrimage serving as one of the key ways to confront this deviation. During the Arbaeen pilgrimage، even within a single procession، Muslims are united in one line، walking towards the symbol of resilience and sacrifice، Imam Husayn (A). There are no sectarian divisions or grudges، but rather unity، despite differences in language، skin color، or nationality، all aligning in a common rhythm of slogans، reviving the Arbaeen rituals in accordance with the path and teachings of Imam Husayn (A).

The study is divided into main topics and subtopics. The first section discusses sectarianism and ethnicity in terms of language، definition، and history. The second section examines the Arbaeen pilgrimage and its impact on combating division and unifying the Muslim ranks. The third section addresses the solution to sectarianism and the call for peaceful coexistence as outlined in the Quran and Sunnah. The study concludes with findings، followed by: a list of sources ،and references.

Keywords: Arbaeen pilgrimage، sectarianism، intellectual extremism، peaceful coexistence.

مشكلة البحث:

يُعتبر موضوع نبذ الطائفية والعرقية، والحث على التعايش السلمي بين فئات المجتمع من أهم الأهداف الداعية الى تنشئة الأجيال على الإيمان بالله وحده، وبما أوصت به الأديان والكتب السماوية، وسيرة النبي ومنهج أهل البيت عليهم السلام في التسامي فوق الطائفية والتعصب، والحث على التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، يتجلى ذلك واضحاً في مسيرة زيارة الأربعين المليونية والخالدة التي شقت طريقها عبر الأجيال لتكون نموذجا حيا ومستمرا على صور التلاحم والتآلف بين كل الأجناس على اختلاف صورهم ولغاتهم وجنسياتهم، ولربما تظهر أهم مشكلة في طريق دراستنا وهي صعوبة احتواء الموضوع بكل جوانبه في صفحات قليلة لا يمكنها تغطية كل صور التلاحم والتآلف ورفض النعرات الطائفية والعرقية في مسيرة الأربعين الخالدة.

أهمية البحث:

تتركز أهمية هذه الدارسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله، وخاصة فيما يتعلق بزيارة الأربعين وصور التلاحم والتآلف ونبذ كل أشكال الطائفية والعرقية والحث على التعايش السلمي، بعد أن تعرض المجتمع العراقي الى هجمة شرسة إثر أحداث داعش الإرهابية التي أدت الى ظهور مشاكل اجتماعية من مثل التفكك المجتمعي والأسري والطبقي بين بعض فئات المجتمع، مع التأكيد على التزام مبادئ وقيم وأخلاق الإمام الحسين عليه السلام الوجدانية في إرساء قيم الاصلاح في أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله في التآلف والتعايش السلمي بين كل الأجناس على اختلافهم الديني والعرقي واللغوي والمذهبي.

أهداف البحث:

يمكن تحديد أهداف الدراسة بالنقاط التالية:

١. كيف نستلهم الدروس والعبر من منهج الإمام الحسين عليه السلام ضد الطائفية والعرقية، وكيف يمكن لمسيرة زيارة الأربعين الخالدة أن تكون صورة حية ناطقة على مر الأجيال تعكس صور التلاحم والتآلف والتعايش السلمي بين كل الأجناس على اختلاف صورهم وجنسياتهم ولغاتهم؟

٢. هل يمكن القول أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام استطاعت أن تحتل مكانتها المرموقة في التأثير في واقع الحياة اليومية مقارنة بحجم اهتمام الأئمة والعلماء والباحثين بها، وتحويلها الى واقع نستلهم منها الدروس ونأخذ منها العبر في التلاحم والتآلف والتعايش السلمي؟

٣. ما هي أوجه وطبيعة الاصلاح الاجتماعي والتربوي والثقافي والسياسي في فكر الإمام الحسين؟، والمستلهمة من ملحمته في معركة الطف في كربلاء.

٤. التركيز على التعريف بمفاهيم وثقافة التسامح والتعايش السلمي في أبهى صورها خلال مسيرة الأربعين.

٥. إنّ المجتمعات التي تعاني من تفشي ظاهرة الطائفية والعرقية أدى ذلك الى الصراع والحرب بين مكوناتها، على عكس المجتمعات التي يشيع فيها التسامح وحرية الرأي والتعايش السلمي.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآل بيته المطهرين بنص كتاب رب العالمين.

بكـــت الأرض والســـماء عليه ... بدمـــوع غزيـــرة ودمـــاءِ
يبكيـــان المقتـــول في كربـــلاء ... بـــين غوغـــاء أمـــة أدعيـــاءِ
مُنـــع المـــاء وهـــو عنـــه قريب ... يا عين ابكي الممنوع شرب الماءِ

(الكفعمي: مصباح الكفعمي، ١٩٩٢م، ص٧٤١).

بدايةً لا بد أن نذكر حقيقة ما تبذله المرجعية الدينية العليا، والحوزة العلمية، وإدارات العتبات المقدسة، والمؤسسات الأهلية، والمبادرات المخلصة، من جهود كبيرة ومشكورة في سبيل انجاح مناسبة زيارة الأربعين العظيمة، رغم صعوبة التحديات والأوضاع الاستثنائية التي تمر بها الساحة العراقية والإقليمية والدولية، حيث تنظم برامج مختلفة للتبليغ الديني بين المواكب والزائرين، وفي محطات البث الإذاعي والمرئي المختلفة، وحيث تقام صلاة الجماعة، ومجالس لتوضيح المسائل الشرعية، وإلقاء الخطب والمحاضرات التوعوية، وتوزيع الكتب والمطويات واقامة المعارض والمهرجانات، واستقبال واستضافة الشخصيات من مختلف الأديان والمذاهب من العراق وخارجه، والذين ينقلون انطباعات جيدة حول ما يرونه ويسمعونه في هذه المسيرة المليونية العظيمة.

وهكذا نأمل أن تصبح مناسبة زيارة الأربعين العظيمة فرصة ذهبية لإيصال رسالة أهل البيت عليهم السلام إلى بلدان العالم أجمع.

كثيراً ما لعبت الطائفية على أساس العرق أو الدين أو اللون دوراً في تدمير الكثير من الشعوب والحضارات، وبتطور الزمان وتوسع البلدان، ومنها بلدان العالم الاسلامي، دخلت مجموعات من الأعراق المختلفة الى الإسلام على اختلاف أديانهم السابقة سواء كانت سماوية أم وثنية وباختلاف أعراقهم سواء كانوا من السند أو الهند أو بلاد فارس أو غيرهم من البلدان، فأصبح المنتمون الى الدين والمذهب الواحد من خلفيات عرقية مختلفة، وفي وقتنا الحاضر ومع انتشار الاسلام يقدر عدد المسلمين بأكثر من ٢ مليار نسمة (يشكلون ٢٥٪ من سكان العالم) ولان المسلم قوة عظيمة وتركيبة يصعب هزمها؛ فقد حاول أعداء الاسلام إثارة الطائفية العرقية بين المسلمين؛ من أجل استهداف وتدمير فئة الشباب تحديداً من خلال الانحراف الفكري، وبالتالي تصدى المسلمون لهذه الحرب الفكرية المدمرة، فكان خط أهل البيت عليهم السلام ممثلاً في زيارة الأربعين أحد أهم سبل المواجهة لهذا الانحراف الفكري والطائفي البغيض، فنرى الكل، وحتى في الموكب الواحد، متوحدين في خط واحد سائرين نحو رمز الصمود والتضحية أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فالأعراق المختلفة متحدة الهدف على اختلاف لغاتهم وألوانهم وجنسياتهم وعلى نسق واحد من الشعارات يحيون شعائر أربعينية الإمام الحسين عليه السلام.

وقد حاول أعداء الإسلام استهداف الشباب تحديداً في هذا الانحراف الفكري الطائفي البغيض، وبالتالي تصدى المسلمون لهذه الحرب الفكرية المدمرة، فكان أحد أهم الطرق التي ساهمت وبشكل كبير في توحيد صف المسلمين ودرء الفتن هو خط أهل البيت عليهم السلام ممثلاً في زيارة الأربعين، فنرى الكل متوحدين في المسير نحو رمز التضحية الإمام الحسين عليه السلام وحتى في الموكب الواحد نجد الأعراق المختلفة متوحدة الهدف رغم اختلاف لغاتهم وألوانهم وجنسياتهم.

تم تقسم الدراسة الموسومة بـ (دور زيارة الأربعين في مواجهة الطائفية والعرقية الفكرية من خلال ترسيخ مبدأ التعايش السلمي)، الى عدة مباحث رئيسية ومواضيع فرعية، وهي المبحث الأول: الطائفية والعرقية لغةً واصطلاحاً وتأريخاً، والمبحث الثاني: زيارة الأربعين وأثرها في محاربة التفرقة وتوحيد صف المسلمين، والمبحث الثالث: علاج الطائفية من خلال بث قيم التسامح والحث على التعايش السلمي بنص الكتاب والسنة المطهرة، وفي نهاية الدراسة تأتي الخاتمة والنتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول
الطائفية والعرقية لغةً واصطلاحاً وتاريخياً

لقد شاع في السنوات الأخيرة استخدام مصطلح «الطائفية في الخطاب الإعلامي والثقافي وفي البحوث الأكاديمية وفي المراكز البحثية، وكثيراً ما ورد مقترناً في تحليل الصراعات السياسية، وبعض الأحداث العسكرية، والأزمات الاقتصادية التي تفشت في بعض البلدان العربية، ويتجاذب مصطلح الطائفية عدة مجالات معرفية كالمباحث النفسية والسلوك الطائفي، والعلوم السياسية كونه آلية من آليات التنافس السياسي والحزبي، والبحث الديني بوصفه فهماً مخصوصاً للدين يتميز به أصحابه في عقائدهم وعباداتهم ورموزهم عن غيرهم من المذاهب والنحل...إلخ (بشارة: الطائفة، ٢٠١٨م، ص١٤).

ويُعد النظام الطائفي أداة للقهر والسيطرة السياسية، متمثلاً بحكم الاستبداد المطلق والقهر السياسي والعنصري القومي والديني، وهو لم يظهر في التأريخ إلا كوسيلة بيد المحتلين والطغاة لشق صفوف المحكومين والحيلولة دون اتحادهم ضد العدو

المشترك(الجنابي: إشكالية، ٢٠٠٦م، ص ٣٦-٣٧)، فالكلام عن النظام الطائفي لا يُقصد به العداء بين المنتسبين للأديان المختلفة ولا تفضيل الأفراد لهذه الجماعة المذهبية أو تلك ولا ممارسة شعائر دينية معينة، فهي مسائل تتعلق بالأفراد خاصة أكثر ما تتعلق بتكوين أنظمة الحكم، وإنّما النظام الطائفي يعني نظاماً معيناً للحكم يقوم على استئثار أقلية أو طائفة معينة على مقاليد السلطة السياسية، واحتكارها للامتيازات والمكانة الاجتماعية والاقتصادية المتأتية من السيطرة على أجهزة الحكم(العلوي: الشيعة، ١٩٩٠م، ص٢٨). ونورد مصطلح الطائفية والعرقية في اللغة والاصطلاح.

أولاً - الطائفية لغةً واصطلاحاً:

ورد في لسان العرب: الطائفة من الشيء جزء منه، وهو ما يؤكده القرآن: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور:٢)، قال مجاهد: تتحدد الطائفة من الرجل الواحد والى الألف، وقيل أيضاً الرجل الواحد فما فوقه عدداً، والطائفة مجموعة من الناس (ابن منظور، ١٩٩٧م، ص٢٢٢)، فالطائفة جزء من شيء أو الجماعة من الناس، والطائفية اصطلاحاً: الطائفة الجماعة من الناس الذين يجمعهم رأي أو مذهب يمتازون به عن سواهم (اليسوعي، ١٩٨٢م، ص٤٩٤). ويؤكد هذا كثير من آيات القرآن الكريم بقول الله تعالى:﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٧٣)،﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (التوبة: ٨٣)، ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

ثانياً - العرقية لغةً واصطلاحاً:

العرق لغةً: ورد في لسان العرب في معناه: العرق أصل كل شيء وجمعها أعراق وعروق، والعرب تقول أنّ فلاناً لمعرق له في الكرم، وفي اللوم أيضاً، وقد عرق فيه أعمامه وأخواله، وأعرقوا وأعرق فيه إعراق العبيد والإماء إذا خالطه ذلك وتخلق بأخلاقه(ابن منظور، ١٩٩٧م، ٢٢٢)، (والعِرْق) أصلُ كل شيء من البدن، وهو أحد أوردت الجسم التي يجري فيها الدم، والعريق والمعرق هو الذي له عرق أي أصل في الكرم أو اللوم ونحوهما، والعَرقاة والعِرقاة والأصل أرومة الشجرة فالعرق أصل كل شيء (اليسوعي، ١٩٨٢م، ص٥٢١).

العرقية إصطلاحاً: العرقية في المعنى الاصطلاحي هم مجموعة بشرية ترتبط بروابط ثقافية أو دينية أو عقدية أو كلها، وهي أيضاً: مجموعة أو كتلة بشرية يتوحد أعضائها من خلال روابط فيزيائية أو بيولوجية، مثل وحدة الأصل، أو السلالة أو الثقافة أو الدين أو اللغة.. إلخ (لوز، ٢٠١٥م، ص٨)، يعيشون في ظل مجتمع سياسي ضمن إطار ثقافي حضاري مغاير للإطار الثقافي الحضاري للمجتمعات الأخرى، ويكون أفراده مدركين لمقومات هويتهم، ويعملون من أجل الحفاظ عليها في مواجهة عوامل الضعف والتحلل، والعرق الواحد يتميز عن غيره من الأعراق بمميزات وخصائص معينة من ناحية الموروث الحضاري والروابط البيولوجية(العلوي: الشيعة، ١٩٩٠م، ص٣٦).

تاريخ الطائفية العرقية

لعبت الطائفية على مر التاريخ دوراً كبيراً في إبادة أمم وتكوين أخرى، وتمثل أحد أهم رموز خراب الأمم وإبادة الشعوب، فتكون على أساس ديني أو مذهبي أو عرقي أو على أساس اللون والطبقة، والطائفية، ويشير عالم الاجتماع الامريكي ديفيد رايزمان الى أن كلمة عرقي مشتقة من الكلمة الإغريقية إثنو ومعناها وثني، واستخدمت في الإنكليزية بهذا المعنى منذ القرن (١٤)، والى القرن (١٩)(أريكسن: موقع الكتروني)، وقد عرّفت المجموعات البشرية نفسها دائماً على أنّها متميزة عن المجموعات المجاورة، ولكن لم تكن هذه الاختلافات دائماً مفهومة على أنها طبيعية وقابلة للتغيير وعالمية، وهذه المميزات هي السمات المميزة لكيفية استخدام مفهوم العرق بهذه الطريقة نتيجة الغزو الذي جلب الأوروبيين إلى الاتصال مع مجموعات بشرية من قارات مختلفة، ومن إيديولوجية التصنيف والفرز وجدت في العلوم الطبيعية (عبد اللطيف، ٢٠٢١م، ص١٩-٢٠)، فالتمييز على أساس العرق قديم منذ الأزل، كما كان يرى اليهود أنهم) شعب الله المختار) (موقع الكتروني)، وأما في القرن العشرين فقد صنفت الحرب والنزاعات المسلحة التي اجتاحت عدد من دول العالم مثل سريلانكا، وفيجي، ورواندا، والكونغو، والبوسنة كنزاعات عرقية، فقد أصبحت الهويات العرقية والقومية ساحة خصبة للصراع، خاصة بعد تدفق العمالة المستمر والمتصاعد للآجئين الى أوروبا وشمال أمريكا، فصار السكان الأصليين، مثل السيمي والأسكيمو السكان الأصليين لأمريكا وأستراليا، ينظمون أنفسهم سياسياً ويطالبون بالاعتراف بهوياتهم العرقية واستحقاقاتهم الإقليمية من الدولة(صبار، ٢٠٢٠م، ص ٤٩٧-٤٩٨)، وهنا يرى الكثيرين بأن العرقية قد تكون حقاً مشروعاً في مثل هذا الحال أمام ضياع حقوق السكان الأصليين بسبب الوافدين، ومن نماذج الطائفية العرقية ما حصل في أمريكا ضد الوافدين من أفريقيا من تمييز عرقي، وما يحصل في دول أوروبا من تمييز على أساس اللون(عبد اللطيف، ٢٠٢١م، ص٢٢).

المبحث الثاني

زيارة الأربعين وأثرها في محاربة أشكال التفرقة وتوحيد صف المسلمين

تُعد ظاهرة المسيرة المليونية في زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام انتصاراً للقيم، والمبادئ، والأهداف التي ضحى من أجلها الإمام بحياته وحياة أهل بيته عليهم السلام، وإنّ هذا التجمع البشري الهائل الذي يتجدد في كل عام، ومن مختلف البلدان، والأديان، والأعراق، والقوميات لهو خير دليل على انتصار المظلوم على الظالم، والحق على الباطل، وهو ما أكدته السيدة زينب الكبرى عليها السلام في حديثها أمام يزيد بقولها: «فوالله لن تمحو ذكرنا، ولن تُميت وحينا، ولن تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنةُ الله على الظالمين» (المجلسي، ١٩٨٣م، ص١٣٥)، وقد تحقق، فذكر الحسين وأئمة أهل البيت عليهم السلام يزداد اتساعاً وانتشاراً، وأما ظلمتهم فذهبوا إلى مزبلة التاريخ.

وإنّ أكثر ما يخشاه أعداء الإسلام هو وحدة كلمة المسلمين، وهدفهم وتطلعاتهم، وهو موقف يبدو جلياً وواضحاً في شعائر زيارة الأربعين، إذ يتوحد الجميع على اختلافاتهم الثقافية والبيئية في خط سير واحد نحو زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، (اليوسف: موقع الكتروني)، ناهيك عن كون زيارة الأربعين علامة على ايمان المسلم وصدق ولائه لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فقد روى الشيخان المفيد والطوسي قولهما: روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قوله: (علامات المؤمن خمسٍ: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»، (المفيد، ٢٠٠٨م، ص٥٣).

ولقد حث أهل البيت عليهم السلام على زيارة القبور بصورة عامة فهي موعظة وتذكرة باليوم الآخر فقد روى مسلم عن بريدة في حديث النهي عن زيارة القبور، قال النبي صلى الله عليه وآله: «كنت نهيتُكُم عن زيارةِ القُبور، فزوروا القبور، فإنّها تُزهّد في الدنيا، وتذكر الآخرة» (ابن مسعود: ص٤٥٨٤)، (زوروها فإنها تذكر الآخرة)، والآثار المترتبة على زيارة الموتى متعددة، وتنعكس بصورة ايجابية على الزائر، ولها أبعاد دينية واجتماعية وروحية، وقد هذّب أهل البيت عليهم السلام الممارسات الخاصة بالعزاء من خلال نهجهم الشريف الذي يحمل أبعاداً كثيرةً، ومنها البعد الاجتماعي، من خلال ما ينتج عنها من تواصل وتوادد بين فئات المجتمع، وبث روح التآخي، ونشر وتوثيق الروابط الإنسانية بأبها صورها، وكذلك من خلال البعد المستقبلي لها بما تتركه من إذابة للبغضاء والشحناء، وزرع المحبة والتقارب بين المسلمين وغيرهم، وحالة التآخي والتصاهر فيما بينهم (الطوسي: تهذيب الأحكام، ١٩٧٢م، ص١٢٧)، فإذا كان هذا الحث على زيارة قبور موتى المسلمين على اختلاف موتهم، فكيف اذا كان الحديث حول سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام، الذي كانت مسيرته ومعركته وشهادته بكل لحظاتها تمثل مدرسة عظيمة يعجز الانسان عن وصفها، وقد وردت أحاديث ومرويات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام عموماً وزيارة الأربعين خصوصاً.

وإنّ أصعب التحديات التي تواجه الزائرين خلال مسيرهم هي قطع مسافات قد تكون طويلة جداً مشياً على الأقدام، وتحت الشمس اللاهبة، فيحتاجون فيها الى ماء كثير، ومظلات تقيهم الحر، اضافة الى الطعام وأماكن الإستراحة، كل هذا نجده مع قوة عزيمتهم المشتركة وبروحية كبيرة للمضي قدماً نحو أبي الأحرار عليه السلام، فنجد أُناس على كراسي متحركة، وكبار سن على عكازاتهم، ومنهم معوقون في أحداث سابقة في حياتهم، الكل يكافحون ويجدون في مسيرهم ويساعد بعضهم الآخر في حالة

تراحم وتوادد قل نظيرها، فالجميع متساوٍ في مسيرهم، وفي وقت الصلاة يصطفون من مختلف الطبقات الاجتماعية دون تمييز بين الفقراء والأغنياء، وكذا أيضاً وقت الطعام والمشرب، والمساعدة والخدمة متوفرة على الدوام متى واين ما يحتاجونها، وهنا يكمن معنى العدل والمساواة بين الجنس البشري (د.كريس هيوار: موقع الكتروني).

وهكذا تقدم زيارة الأربعين درس بليغ لكل شعوب وبلدان العالم بأنّ النهضة الحسينية تعطيهم رسالة واضحة ودقيقة بعدم وجود أجنبي أو غريب بين أبناء الدين الواحد، الذي ضحى الإمام الحسين وأهل بيته من أجل إحياء قيمه ومبادئه(الساعدي، د.ت، ص١٣)، وحتى من الناحية الشرعية إنّه لا يجوز للمسلم أن يسمي أخاه المسلم بلفظة "أجنبي"، ولا أن يحرمه مزاياه وحقوقه مهما كان بينهما اختلاف في اللون أو العنصر أو الإقليم؛ لأنّ «الأجنبي» يطلق غير المسلم، وفي اطلاقه على المسلم خلاف صريح للآيات والروايات وفيه إلغاء (حق المسلم على المسلم)، إضافة إلى أنّه يُعد من التنابز بالألقاب الذي يؤدي الى شق صف وحدة المسلمين، وما نراه جلياً من إطلاق تسمية "زائر» على كل المشاركين في إحياء مراسم زيارة الأربعين دون النظر إلى أشكالهم وانتماءاتهم القومية أو الجغرافية، لهو أصدق تعبير على مبادئ الدين الإسلامي القويم (الساعدي، د.ت، ص١٣).

دور زيارة الأربعين في توحيد صفوف المسلمين

لقد حظيت زيارة الحسين ﷺ اليوم ببُعد حضاري وإنساني عالمي؛ وتحولت زيارة الأربعين إلى ظاهرة يتابعها العالم بأسره باهتمام بالغ، وترصدها وسائل الإعلام بشكل لافت، وتترك أصداءً كبيرةً بين فعاليات رسمية وشعبية عديدة، فكان الواجب يحتم على القائمين عليها استثمار هذه الظاهرة، والحدث العالمي بكل جوانبه، عبر تعميق الوعي الديني لدى الزائرين والمتابعين، وإظهار سلوكهم الإنساني والأخلاقي الإيجابي؛ وبالنتيجة تكون الزيارة قد حققت تحولاً إيجابياً في الوعي والسلوك لكل المسلمين، يقدم الشيعة من خلالها رسالة مذهبهم وأئمتهم الى العالم بأسره، عبر شعاراتهم، وخطابهم، وسلوكهم، وإدارتهم لهذه المناسبة العظيمة والحشود المليونية.

ورسالة أهل البيت ﷺ في قبول التنوع المذهبي والديني نابعة من قول الإمام علي ﷺ: «فإنّهم (الناس) صِنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق» (ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢٠٠٠م، ص٢٣٤)، وتكمن رسالتهم في الحفاظ على وحدة الأمة وتماسكها بما روي عن الإمام علي ﷺ: (وليس رجل. فإعلم. أحرص على جماعة أمة محمد وأُلفتها مني) (ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢٠٠٠م، ص٢٣٩)، وأيضاً رسالتهم الإصلاح في الأمة حيث روي عن الإمام الحسين ﷺ قوله: (إنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي) (المجلسي: بحار الأنوار، ١٩٨٣م، ص٣٢٧)، وتكمن رسالتهم في استعاب الناس على اختلافهم بحسن القول والمعاملة، كما روي عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «رحم الله عبداً استجرّ مودة الناس لنفسه وإلينا، بأن يُظهر لهم ما يعرفونه ويكف عنهم ما ينكرونه»(المجلسي: بحار الأنوار، ١٩٨٣م، ص٧٧)، وعنه أيضاً: «يا معاشر الشيعة كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا، وقولوا للناس حُسناً، واحفظوا ألسنتكو، وكفوا عن الفضول، وكفوا عن قبح القول) (الصدوق، ٢٠٠٩م، ص٤٨٤).

وفي زيارة الأربعين درسٌ بليغ لكل الشعوب بأن النهضة الحسينية تقدم رسالة واضحة للاعتصام بحبل الله، الذي هو اعتصام بالأحكام الشرعية، والمثل والقيم السامية بعدم وجود أجنبي أو غريب بين أبناء الدين الواحد، الذين حتى من الناحية الشرعية لا يجوز التمييز بينهم بلفظ «أجنبي»، فلا يحق للمسلم أن يسمي أخاه المسلم أجنبياً، ولا أن يحرمه من حقوقه، مهما كان الاختلاف بينهم في الشكل أو العرق أو البيئة؛ لأنّ الأجنبي في حكم الدين هو غير المسلم، إضافة إلى أنه أسوأ من التنابز بالألقاب، الموجب لانفصام شمل المسلمين وتفريق وحدة كلمتهم(الهاشمي: موقع الكتروني).

ولقد حارب الإسلام كل مظاهر الجاهلية من وأد البنات وشرب الخمر والوثنية وجميع مظاهر الانحراف والتحلل الخلقي والانحراف الفكري، ومن تلك المظاهر هو التمييز على أساس طبقي أو عرقي، وقد بين الله سبحانه ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

إنّ سيرة أهل البيت عليهم السلام مدرسة لا تنقطع على مر الزمان؛ لما تضمنته من دروس وحكم، وهي نبراس للأمة كلها، ونرى أنّ الكل قد أصبح له دوراً في قضية الإمام الحسين عليه السلام، التي تمثل تجسيد للإسلام ومقاييسه الاخلاقية من خلال ما تعكسه من صور الاحترام والخلق الرفيع حتى مع العدو، والمسلمون بصورة عامة والشيعة بوجه خاص يتخذون من عاشوراء وزيارة الأربعين محطة لإعادة تأهيل الروح والفعل والأفكار (البغدادي: أسرار زيارة الأربعين، ٢٠١٢م، ص٢٧)، فالرجل يتأسى بصور واقعية للتقوى والايمان والغيرة والحمية على الدين والعيال ممن ترك عياله وزوجه ودنياه بالآخرة طلباً لرضى مولاه، والمرأة تأخذ مثالاً وقدوة من الصبر والعفة والتقى من الحسين عليه السلام، وهكذا، فحتى الأطفال والفتيان يستطيعون التماس قدوة

واقعية لهم في تلك الواقعة العظيمة؛ مما ينعكس ايجاباً على نفسياتهم، ولكثرة المخاطر التي تحيط بالإسلام يحاول أعداؤه النيل منه من خلال الحرب أو التفرقة، أو غيرها، ومن الأسلحة التي استخدمها العدو هي الترويج لفكرة العنصرية على أساس العرق؛ من أجل شق وحدة صف المسلمين، واستخدام الإعلام؛ لبث سموم التفرقة فيما بينهم، فكان لمواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والأنستغرام والإكس وغيرها قاعدة تبث تلك الأفكار بأسماء مجهولة وممولة لاستقطاب الشباب، فنرى فيها صوراً للبعض من الشباب ممن يفتقرون للعلم الصحيح ينجرفون مع بعض هذه الصور والإنحرافات الفكرية، الأمر الذي أدى الى الخوف مما تبثه مواقع التواصل الاجتماعي من سموم أن يؤدي الى حرب طائفية (كياشنة: التطرف، ٢٠١٥م، ص٢١٦)، حتى جاء موعد زيارة الأربعين فتوحدت الصفوف المختلفة الأعراق والألوان والجنسيات والخلفيات الثقافية والبيئية واللهجات بخط سير واحد نحو أبي الأحرار ﷺ، فقد أعلنت الأمانة العامة للعتبة العباسية يوم الأربعاء ٢٠ صفر لعام ١٤٤٥هـ الموافق ٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٢٤م، عن مشاركة ٢٢ مليون و١٩ ألفًا و١٤٦ زائر في إحياء زيارة أربعينية الإمام الحسين بن علي ﷺ، معتمدة على منظومة العد الإلكتروني الدقيق في إحصاء الوافدين إلى كربلاء (فضائية كربلاء، موقع الكتروني)، حيث نجد في الموكب الواحد عدة لهجات وجنسيات تخدم الزائر مهما كان عرقه أو جنسيته أو لونه أو لهجته، وكما بلغ عدد المواكب العربية والأجنبية المشاركة في زيارة الأربعين لعام ١٤٤٦ه/ ٢٠٢٤م، بحسب ما أعلنه قسم حفظ النظام في العتبة الحسينية المقدسة، أنّ تعداد المواكب الحسينية المسجلة في شعبة التنسيق مع المواكب والهيئات والشعائر الحسينية، بلغ أكثر من (١٣،٠٨٤) ألف موكب، إضافة الى (٢٥٠) موكب من خارج العراق، تلقت من الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة كل أنواع الخدمات والتوجيه والمعونات العينية واللوجستية لخدمة الزائرين (قسم الشعائر، موقع الكتروني).

ويرى المتتبع لأعداد الزائرين في كل عام ارتفاع نسبة الزوار من خارج العراق خصوصاً ومن مختلف الجنسيات والأعراق والألوان واللهجات، ولغاية واحدة هي رضا الله تعالى وإحياء الزيارة العظيمة، والتي بحد ذاتها تزيد من اللحمة الإنسانية، وأواصر الوحدة، والتآلف، والتآخي بين كل المسلمين القادمين من شتى بقاع العالم، في منهج وقوة ايمانية لم تخضع لا لظالم ولا لسلطان جائر، فحين يتوجه المسلمين لزيارة قبلة الأحرار تتجدد لديهم الصورة الإيمانية وتعلو فيهم القيمة الأخلاقية وصور الإيثار والمحبة والألفة بكل معانيها، وهو ما يُجسد بشكل واضح صور الوحدة الإيمانية والإخاء بكل معانيها.

وهنا، وبالنظر الى هذه الحشود المليونية؛ فمن المهم والمفيد للغاية إظهار هذا الزحف الجماهيري الهائل إعلامياً بصورة حضارية ومتميزة وبما يعكس الصورة الناصعة لأتباع أهل البيت ﷺ، وبما يبعث رسالة قوية إلى أعداء الأمة الإسلامية عن تلاحم وعزة وقوة المؤمنين ووحدة كلمتهم، وأن تكون زيارة الأربعين فرصة لاستنهاض القيم والمبادئ والأهداف التي استشهد من أجلها الإمام الحسين وأهل بيته ﷺ وأصحابه الأخيار، وعدم اختزال قضية الإمام الحسين ﷺ بأمور جزئية أو طقوس شكلية؛ بل يجب الحفاظ على جوهر النهضة الحسينية، وإحياء قيمها الكبرى وأهدافها العظيمة.

ولا بد من الإشادة والتذكير بدور الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة التي تستنفر في كل عام، خلال موسم الزيارات المليونية لزيارة عاشوراء والزيارة الأربعينية، جميع أقسامها وشعبها وكل المؤسسات والمراكز التابعة لها وجميع ملاكاتها كلٌ بحسب تخصصه ومجال عمله، تلبيةً لتوجيهات المرجعية الدينية العليا والمتمثلة بالمتولي الشرعي للعتبة الحسينية الشيخ عبد المهدي الكربلائي، من أجل تقديم أفضل الخدمات الطبية، والصحية، والدعم والارشاد، والتوجيه، وتوزيع الأغذية والطعام، والمشروبات والمياه وكل ما يتعلق براحة وخدمة الزائرين.

المبحث الثالث
علاج الطائفية والحث على التعايش السلمي بنص الكتاب والسنة المطهرة

التعايش لغةً: إنّ تسمية (التعايش) مشتقة من (العيش)، وقيل: عيشةً وعَيْشاً ومعاشاً وكل ذا حياة يكون عائش، والعيش هو الحياة، وتعايشوا: بمعنى عاشوا في ألفة ووئام، ومنه التعايش السلمي (مجمع اللغة العربية: معجم المعاني، ١٩٩٨م، ص٦٣٩).

التعايش اصطلاحاً: تم استخدام هذا التعبير بكثرة خلال فترة الحرب الباردة؛ من أجل الدلالة على الصراع الخفي المحتدم بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي، والتي رغم اختلاف نظاميهما ولكن يمكنهما أن يتعايشا بسلام ودون اللجوء الى الحرب، وتعني قبول واحترام وتقدير التنوع الديني والثقافي وكل أشكال الصفات والتعبيرات الإنسانية على اختلافها، وهو ما يعني وقبل كل شيء أتخاذ موقف ايجابي فيه قبول بحق الآخرين وفي حرياتهم وحقوقهم المعترف فيها عالمياً (رحومة، ٢٠٠٧م، ص١١٧).

والتعايش من منظور إسلامي ينطلق من قاعدة عقائدية، وهي جذور إيمانية، وليس ثمة أبلغ وأوفى بالقصد من قول الله سبحانه: ﴿لْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَّ﴾ (آل عمران: ٦٤)، والتي فيها أبلغ دلالة على تأصيل التعايش السلمي في منهج وشريعة الإسلام، إذ إنّ الصفة المشتركة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب واسعة ورحبة لتقبل الآخر، فقد جعل الإسلام متسعاً في نفوس المسلمين من أجل التعايش مع بني الإنسان رغم اختلاف الشكل والمعتقد، إذن، فمن باب أولى أن يكون فيه متسعاً للتعايش بين المؤمنين (الغرباني، ٢٠٢٠م، ص٦).

إنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم هداية للبشرية من الانحراف واتباعاً للمنهج القويم والوسطية السمحة، وقد توحدت كل الأدلة في بيان ما فيه من التيسير والطريق القويم، وما يكون في رفضه والإعراض عنه من الضياع والضَلال، يقول الله في كتابه الحكيم: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤)، وقال ابن عباس (رض) في تفسير الآيتين: ضمن الله فيهما أن كل من قرأ القرآن وعمل بما ورد فيه، أن لا يضل في الدنيا أبداً، ولا يكون شقياً في الآخرة (الطبري: تفسير الطبري، ٢٠٠١م، ص٣٨٩)، وقال الله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(الأعراف:٣)، حيث أمرنا الله تعالى باتباع القرآن وحذرنا من اتباع الأولياء والأهواء من دونه فذلك يؤدي الى الضلال والهلاك والخسارة في الدنيا والآخرة، وقال الله: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ (الأنعام: ١٥٦-١٥٧)، وهنا يخبر الله سبحانه وفي عدة مواضع من القرآن الكريم بأن الضلال والعذاب جزاء كل من ترك اتباع ما أنزله وإن كان له نظر أو جدل في عقليات وأمور غير ذلك من نعوت الكفار والمنافقين.

أولاً: السير على نهج الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام وجعلهم قدوة: فلا شك في أن الله تعالى قد زكاهم وطهرهم ورسول الله رباهم؛ فهم حملة الدين عملاً وقولاً (عبدو: شرح نهج البلاغة، ٢٠١٠م، ص٢٣).

ثانياً:تلقي العلم عن العلماء الأعلام: المشهود لهم بالصلاح والاصلاح، والساعين على جمع كلمة الامة وتوحيد صفها وعدم تشتيت أمرها (عبدو: شرح نهج البلاغة، ٢٠١٠م، ص٢٦).

ثالثاً:التيسير ورفع الحرج: إنّ الله تعالى جعل الشريعة حنفية مباركة، حفظ للخلق فيها قلوبهم وحببها إليهم، وإذا هم عملوا خلاف ذلك لدخل عليهم في أمور التكليف ما لا تخلص معه وبه نياتهم وأعمالهم، قال الله سبحانه:﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة:٨٥)، وقال:﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(البقرة:٢٨٦)، وقال:﴿«فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ (التغابن:١٦)، وقال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾(الأعلى:٨).

قال أبن حيان «وظاهر اليسر العموم في جميع الأحوال الدنيوية والأخروية»، وقال الرازي «هو ما يقدر عليه الانسان في حال الضيق والشدة، وأما ذروة الطاقة فيسمى جهداً، وأخطأ من ظنه الوسع في بذل المجهود» (الجصاص، ٢٠٢٢م، ص١٧٢).

ومن الأدلة على السماحة واليسر مما جاء في السنة: ورد عن أبي هريرة (رض) قال رسول الله ﷺ: «إنّ الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»، وعنه أيضاً قال: «إنّ إعرابياً بالَ في المسجد، فأراد الناس أن يقعوا فيه، فقال لهم رسول الله دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء، (أو سجالٍ من ماء)، فإنّما بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين» (البخاري: صحيح البخاري، ٢٠٠٣م، ص١٢٥١)، وقال المفسرون فيه وهذا سنة من الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

موقف الإسلام من الغلو والإرهاب ونحوهما:

لما كان الدين منزلاً من عند خالق السماوات والأرض كان سبحانه وتعالى أعلم بحدود البشر وإمكانياتهم، فشرع لهم ما يناسبهم ويوافق قدراتهم؛ فجاء الإسلام ديناً سمحاً سهلاً، دين يسر دفعت فيه المشقة بالقدرة والاستطاعة كما قال الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة:٢٨٦)، وإذا كان دين الإسلام دين اعتدال وتوسط وقصد في كل شيء، صار معلوما أن الغلو فيه والزيادة على اعتداله والتشدد في قصده ضلال عن هديه وبعد عن مقاصده، وكذلك في التفريط والتهاون بأحكامه وقال سبحانه فيمن خالف صراطه المستقيم وحرم ما أحله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائد:٨٧).

إنّ أول ما يعول عليه في تشخيص وعلاج التطرف والغلو هو قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(هود:١١١)، ولا شك أن الغلو طغيان، فهذا تحذير منه سبحانه وتعالى من طريق الغواية وأمره بلزوم منهاج الاستقامة، ونذكر هنا بعض الآيات والأحاديث التي تحدد معالم موقف الإسلام من ظواهر الغلو والتطرف وهي:

١. قول الله سبحانه: «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يُضاهئون قول الذين كفروا من قبلُ قاتلهم اللهُ أنّى يؤفكون» (سورة التوبة:٣٠)، ويضاهئون بمعنى يشابهون ويماثلون.

٢. وعن عبدالله ابن مسعود : قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون» (مسلم: صحيح مسلم، ٢٠٠١م، ص ٢٦٧٠)، والمتنطعون هم المجاوزون للحد، الغالون في القول والفعل والفكر، توعدهم النبي بالهلاك وكررها ثلاثاً للتأكيد.

٣. عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم، فقال: فمن الناس إلا

أولئك» (البخاري: صحيح البخاري، ٢٠٠٣م، ص٢٦٦٩)، قاله النبي ﷺ على سبيل التحذير والنهي عن اتباع سلوكهم، (أي فمن الناس إلا أولئك؟) وهو استفهام على سبيل التقرير.

٤. وعن أنس: أنه كان يصلي في المدينة صلاة خفيفة يسيرة كأنما صلاته صلاة مسافر أو قريبةً منها فلما انتهى منها قال لـه رجل عنده: يرحمك الله هل هذه هي الصلاة المكتوبة أم صلاة تتنفلها؟ قال: بل هي الصلاة المكتوبة وهي صلاة رسول الله ما أخطأت فيها إلا شيئاً قد أكون سهوت عنه.

٥. ورد في صحيح البخاري، في باب (الدين يسر) قول النبي ﷺ: «أحب الدين الى الله الحنفية السمحة»، والحنيفة ملة إبراهيم ﷺ، السهلة السمحة الميسورة، «والمشادّة (بالتشديد) هي المغالبة ويقال: شادّه، يُشادّه، مُشادّةً، إذا قاواه، والمعنى أي بمعنى لا يتعمق أحدٌ في العبادات الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب، وقال ابن رجب في هذا الحديث «فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السأمة والانقطاع، والقصد أقرب الى الدوام، ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ؛ كما قال: من أدلج بلغ المنزل».

٦. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدقُ فيها الكاذب، ويُكذبُ فيها الصادقُ، ويُؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين وينطقُ فيها الرُويبضةُ. قيل: وما الرُويبضةُ؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة» (ابن ماجه: ٢٠٠٦م، ص٢١٤)، قال السندي في شرحه على السنن ٢/ ٤٩٤ والخدّاعات تكون بتشديد الدال للمبالغة، وقال السيوطي أي تكثر بها الأمطار ويقل الربيع، والخداعة تكون قليلة المطر من خدع الريق عند جفافه، والروبيضة بالتصغير التافه الحقير قليل العلم»، السفيه يتكلم بأمر العامة، وهو واقع كثير من الفرق اليوم ممن يتخذون السفهاء أئمة وزعماء، فالله المستعان على انقلاب المفاهيم واختلاف الموازين.

أهم المؤسسات التي ترسخ منهج التعايش السلمي والدعوة الى الوسطية والاعتدال:

تبدو الحاجة ضرورية في وقتنا الحالي الى ترسيخ وتكريس منهج التعايش السلمي بين المجتمعات؛ لما وصلت إليه وما تضمنته من مظاهر العنف والغلو وأدواتها، وما ارتكبه متبني هذه المصطلحات من فضائع بحق الإنسان والإنسانية في كل بقاع الأرض، فباتت الدعوة لأهمية التعايش الكريم هدفاً ومبتغى لكل انسان يريد أن يحيى حياته بأمن وسلام، والصراع بين الحضارات الذي تعددت صوره وتنوعت أشكاله لا يمكن أن يستمر ويعكر صفو الحياة بين الشعوب والأمم ويدمر أركانها؛ فصار لزاماً نشر مبادئ العيش الآمن المشترك دون أن يتم تهميش حضارة على حساب الأخرى، وأن يكون التعايش بكل صوره الإيجابية قائماً ومصاناً من الجميع (الكعبي، التعايش السلمي، ٢٠١٤م، ص٢١). ويمكن ايجاز أهم المؤسسات التي لها دور مهم في تعزيز فكرة التعايش السلمي وتكريسها والدعوة الى الوسطية والاعتدال بالآتي:

١. الأسرة: يؤكد الإسلام على ضرورة حُسن اختيار الزوجة الصالحة؛ لأنها تعد الركيزة المهمة والأساسية في التنشئة؛ لحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مولود يولد إلاّ على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (البخاري: صحيح البخاري، ٢٠٠٣م، ص١٣٨٥)، لذا فإنّ مهمة الوالدين أمانة كبيرة، ورسالة يجب أداؤها وتعليم الأبناء كل السلوكيات الشريعة والوطنية. وهذا لا يتم إلا من خلال:

- تجسيدهم للمثل الأعلى الذي يقتدي الأبناء به؛ من خلال التحلي بالصدق والأمانة والتسامح، وكره الغلو والتعصب لرأي معين دون آخر وحب الوطن والدفاع عنه.

- تشجيع الأطفال وحثهم على المشاركة في نشاطات تعاونية جماعية مثل تنظيف المدرسة أو المنطقة التي يسكن فيها، وتلقينه سلوكيات الحفاظ على الثقافة والأموال العامة التي يجب ان يتعلمها الأبناء والتي تمثل بداية التأثير المباشر في حياة الفرد مع أسرته وكذا مع مجتمعه (مصطفى: التعايش السلمي، ١٩٦٨م، ص٤٣).

٢. المدرسة: تأتي المدرسة، والمؤسسات التربوية جميعها في المرتبة الثانية من الأهمية بعد الأسرة، ولها الدور الأبرز في نشر التعايش والتسامح والألفة، ونبذ مظاهر الغلو والتطرف والأحقاد بين الطلاب، وتغرس فيهم القيم النبيلة من خلال الأناشيد الوطنية وتحية العلم وحب الوطن والاستعداد للتضحية من أجله، إذ إنّ تطبيق هذه المقومات يؤدي الى إعداد جيل مسلح أخلاقياً وعقائدياً لا تؤثر فيه المغريات وينعكس إيجاباً على الفرد والمجتمع (مصطفى: التعايش السلمي، ١٩٦٨م، ص٤٥).

٣. المؤسسة الدينية: وتحظى بدور مهم جداً في ترسيخ روح التعايش والتسامح والدعوة الى نبذ مظاهر الغلو والتطرف بكل أشكالها، بفعل الدور الكبير للمراجع ورجال الدين في المجتمع؛ من خلال الخطب في المهرجانات والمناسبات والاحتفالات الدينية، وخطب صلاة الجمعة؛ من أجل الدعوة الى التمسك بالفضائل والأخلاق بين أبناء المجتمع من الصدق، والأمانة، والصبر، والمحبة، والتعاون بما يسهم في ترسيخ حب الوطن في نفوس المواطنين (الشيرازي، ٢٠٠٥م، ص٢١).

٤. نظام الحكم السياسي: وحيث إنّ أغلب الأنظمة السياسية الدولية تمتلك امكانيات مادية وطاقات بشرية غير قادرة على توظيفها وتحويلها الى قدرات تخدم الوطن، وتساهم في ازدهاره، مثل الاستكشافية والاستخراجية والتوزيعية والرمزية والنفسية، فالعراق أيضاً لديه الكثير من الإمكانيات الهائلة كالزراعة والمعادن والثروة الحيوانية والنفطية، ولكن لم يتم الانتفاع منها بشكل صحيح

في بناء الوطن وتحقيق ازدهاره، مما انعكس سلباً على المواطن الذي أصبح رهينة للبطالة والفقر الذي دفعه الى الانحراف والجريمة؛ فأصبح فريسة لدعاة الغلو والتطرف والإرهاب (الشيرازي، ٢٠٠٥م، ص٢٨).

٥. التنمية الاقتصادية: وتأتي بوصفها أحد أهم عوامل القضاء على التطرف الفكري؛ بما تتيحه من حشد طاقات الشباب، وتوجيهها وجهة اقتصادية صحيحة؛ من أجل تحقيق تنمية اقتصادية شاملة في البلدان التي تعاني من التطرف، إذ إنّ اشغال الشباب في الانشطة الاقتصادية المختلفة سيجعلهم مشغولين في المنافسة وتحقيق التنمية، وتمنعهم من تبني الأفكار الهدامة للمجتمع والدولة (هداية: التعايش السلمي، موقع الكتروني).

٦. الإعلام: الذي يمتلك دوراً مهماً ومعنوياً كبيراً في توجيه ونشر روح التسامح وعقيدة التعايش في وئام بين مختلف فئات وطبقات المجتمع، من خلال الدعوة الى نبذ مظاهر الغلو والعنف والتطرف والإرهاب بما يحقق الألفة ونشر ثقافة قبول الآخر والتعايش معه في وئام تام بما ينعكس أيجاباً في تحقيق روح المواطنة والولاء للوطن.

النتائج

في ختام الدراسة توصلت الى عدة نتائج يمكن ايجازها بالنقاط التالية:

١. أرسى الإسلام من خلال القرآن الكريم ومنهج أهل البيت عليهم السلام القواعد الحقيقة لإلغاء التمايز العرقي والطبقي، وأن لا فضل لأحدٍ على أحد إلا بالتقوى.

٢. لقد حث أهل البيت عليهم السلام على الاستمرار بزيارة الأربعين لما تضيفه على النفس من تغييرات روحية ونفسية واجتماعية تساهم في ترسيخ التمسك بالدين والسير على نهج أهل البيت عليهم السلام، وما نراه من ازدياد عدد الزائرين والمواكب العراقية والعربية والأجنبية عاماً بعد عام حتى وصل عددها الى أكثر من ٢٢ ألف موكب خير دليل على ذلك.

٣. تعتبر زيارة الأربعين منبراً اعلامياً، وفكرياً، واجتماعياً ايجابياً، ومؤثراً يعكس صور التلاحم والتآلف والتعايش السلمي وتبث روح التآخي والتكافل بين المسلمين وغير المسلمين بأبهى صورها.

٤. إنّ التمييز العرقي كان موجوداً منذ القدم، وأول من صاغ التمييز على أساس عرقي هم اليهود، الذين يصفون أنفسهم بـ (شعب الله المختار).

٥. يكمن العلاج الحقيقي لظاهرة الطائفية والعرقية عبر نشر ثقافة التعايش والاعتدال ومنهج أهل البيت عليهم السلام في التسامح وتقبل آراء الآخرين دون تعصب لرأي على حساب آخر، ومن صورها حب الوطن والشعور بالانتماء والولاء له.

٦. أثبتت الدراسة على أنّ هنالك مؤسسات تلعب دوراً كبيراً في نشر مفهوم التعايش السلمي وتعضيده بين أبناء المجتمع، على اختلافهم العرقي، والمذهبي، والديني، وبالمقابل تعمل على نبذ كل أشكال الطائفية، والعرقية، والتطرف هي: (الأسرة، والمدرسة، والمؤسسة الدينية، والنظام السياسي القائم، والإعلام)، التي تملك دور كبير في ترسيخ روح المواطنة بين أبناء المجتمع الواحد.

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦ه): شرح نهج البلاغة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط١ دار الكتاب العربي بغداد ٢٠٠٠م.

٢. ابن أبي الحديد عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦ه): شرح نهج البلاغة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط١ دار الكتاب العربي بغداد ٢٠٠٠م.

٣. ابن ماجة الحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة كتاب الكتروني د.م ٢٠٠٦م.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت ٧١١ه): لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ط٢ ج٨ دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت ١٩٩٧م.

٥. أخرجه مسلم باب هلك المتنطعون رقم الحديث: ٢٦٧٠.

٦. إريكسن توماس هيلاند: العرقية والقومية وجهات نظر أنثروبولوجية ترجمة د.لاهي عبدالحسين.

٧. البخاري أبو عبدالله محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري مكتبة الصفا ج ١ ط١ ٢٠٠٣م.

٨. بشارة عزمي: الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة الاشتراكي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت ٢٠١٨م.

٩. البغدادي ابراهيم حسين: أسرار زيارة الأربعين ط١ الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ٢٠١٢م.

١٠. الجصاص ابو بكر احمد الرازي الحنفي: احكام القرآن ج٣ دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٢٢م.

١١. الجنابي د.ميثم: إشكالية العراق-صراع من أجل المستقبل، مجلة مدارك، السنة الأولى، ع٤، مركز مدارك للبحوث والدراسات بغداد، ٢٠٠٦م.

١٢. رحومة د.احمد محمد:مفهوم التعايش بين الأديان مجلة أصول الدين العدد٤ الجامعة الأسمرية ليبيا ٢٠٠٧م.
١٣. رواه ابن مسعود وأخرجه ابن ماجه وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: (فإنّها تذكر الموت) قال: هذا حديث حسن صحيح ص٤٥٨٤.
١٤. الساعدي محمد عبد الرضا هادي: ثقافة الزيارة عن أتباع أهل البيت-مقاربات تأملية في فهم الآخر ط٢ دار الهدي مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام النجف الأشرف د.ت.
١٥. الشيرازي: السلم والسلام، دار العلوم، ط١ بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.
١٦. صبار محمد وأمجد طعمة: الدعاية الطائفية-دراسة تحليلية في واقع ومستقبل الظاهرة العراق أنموذجاً مجلة دراسات للعلوم الانسانية والاجتماعية المجلد ٤٧ ع٢ ٢٠٢٠م.
١٧. الصدوق محمد بن علي الشيخ (ت٣٨١ه): الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي ط١ بيروت ٢٠٠٩م.
١٨. الطبري ابو جعفر محمد بن جرير: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي ط١ ج٧ دار هجر القاهرة ٢٠٠١م.
١٩. الطوسي، الشيخ محمد (ت ٤٦٠ه): تهذيب الأحكام تحقيق السيد حسن الموسوي ج٦، ط٣ ١٩٧٢م.
٢٠. عبد اللطيف سامر وخالد العرداوي: الطائفية وأثرها في المجتمع المدني - مقاربة لترسيخ حالة التعايش السلمي في العراق مركز الدراسات الاستراتيجية بغداد ٢٠٢١م.
٢١. عبدو محمد: شرح نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام ج١ ط١ مؤسسة العطار الثقافية قم المقدسة ايران ٢٠١٠م.
٢٢. العلوي حسن: الشيعة والدولة القومية ١٩١٤م- ١٩٩٠م ط٢ دار الثقافة للطباعة والنسر قم ايران ١٩٩٠م.
٢٣. الغرباني د.عادل محمد: التعايش السلمي في عصور الدول الإسلامية، بحث مقدم للندوة الدولية: التعايش السلمي في الإسلام، سريلانكا ٢٠٢٠م.
٢٤. الكعبي علي عطية: التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من

الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، مكتبة عدنان للطباعة والنشر ط١، بغداد، ٢٠١٤م.
٢٥. الكفعمي الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي العاملي: مصباح الكفعمي مؤسسة النعمان للطباعة والنشر بيروت ١٩٩٢م.
٢٦. كياشنة محمود: التطرف بين الدين والتدين مجلة ذوات ع٦ ٢٠١٥م.
٢٧. لوز لورنس: الدولة والهويات الطائفية في منطقة الخليج، تقرير موجز لمجموعة العمل (عدد٧) مركز الدراسات الدولية بجامعة جورج تاون الدوحة قطر ٢٠١٥م.
٢٨. المجلسي محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، ط ٣، ج٤٤ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٩. مجمع اللغة العربية: معجم المعاني الجامع المعجم الوسيط دار الفكر القاهرة ١٩٩٨م.
٣٠. مصطفى حسين فهمي: التعايش السلمي ومصير البشرية الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٨م.
٣١. المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت٤١٣ه): الإرشاد ط١ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ٢٠٠٨م.
٣٢. اليسوعي الأب لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم ط١٩ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٨٢م.

المصادر الالكترونية.

1. http://www.ankawa.com.
2. https://alkafeel.net/ar-news/index.php?id=1461.
3. https://ar.wikipedia.org/wiki/.
4. https://shiawaves.com/arabic/news/158552.
5. https://ar.wikipedia.
6. www.alyousif.org/?act=artc&id=604.
7. https://almerja.com/aklam/indexv.php?id=30815.

الأربعين

ALARBA'IN

Semi-Annual Scientific Journal

Concerned with Publishing

The Research and Studies in Human Sciences

Issued by

The General Secretariate

of AL- Hussein Holy Shrine

Karbala Center for Studies and Research

Vol.4, 4th year , March 2026 - Ramadan 1447 Ah

Supplement (1) A special issue of the ninth International Conference for the Ziyarte Al Arba'een